المبحث الثالث

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

ومن وجوه الإعجاز للقرآن الكريم هو الإعجاز الغيبي بما فيه من أنباء الغيب ويقصدون بذلك كل ما كان غائباً عن محمد ﷺ، ومن أمور الغيب كل ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون، وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله ﷺ، ويشمل كل ما غاب عن النبي محمد ﷺ وفي وقته من الحوادث التي كانت تحدث، ويشمل ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان. وقد تضمَّن القرآن الكريم الإعجاز الغيبي الحديث عن أخبار القرآن عن الأمم السالفة، وأخبار عن أحداث المستقبل. وهو ما يتعلق بغيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل.

المطلب الأول: أنواع الغيب

أولاً: غيب الماضي وهو أخبار القرآن عن الأمم السالفة.

ثانياً: الحاضر.

ثالثاً: المستقبل وهو أخباره عن أحداث المستقبل(١).

أولاً: غيب الماضي وهو أخبار القرآن عن الأمم السالفة:

إنَّ القرآن الكريم نزل بوحي من الله تعالى، فنجده كثيراً ما يفتتح القصة أو يختمها بالإشارة إلى إنَّ الرسول ما كان له علم بها إلا عن طريق الوحي من الله ﷻ فمثلاً عند ذكر قصة مريم وكفالة نبي الله زكريا لها نجد إنَّ الله ﷻ يقول: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ

(١) ينظر: أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٢، والإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٣-٤.

أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1].

ويذكر الله ﷻ بعد قصة يوسف وذكر عظاتها وعبرها يقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[2].

وإنَّ الأخبار التي جاءت في كتاب الله تعالى، وجاء بها القرآن كان بعضها حديثاً عن أهل الكتاب، وبعضها عن غيرهم.

وأخباره عن أهل الكتاب فكان منها ما لم يعرفه أهل الكتاب أنفسهم، وكان منها ما عرفوه ولكن على غير حقيقته، فجاء القرآن ليصحح لهم هذه المعرفة، ويبيّن لهم الحق. وأما ما كان حديثاً من غير أهل الكتاب، فكان بعضه عن العرب الأولين، وبعضه عن غيرهم[3]. حيث يقول تعالى بعد أن بيّن قصة نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4].

ويقول تعالى بعد الحديث عن قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[5].

ويبيّن لأهل الكتاب كثيراً مما اختلفوا فيه ويصحح لهم كثيراً مما اشتهر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٢.

(٣) ينظر: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٥، والاخبار عن الغيب: ١٧، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٣٤.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٤.

بينهم، فيقول ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1].

ومن قضايا التاريخ التي ذكرها القرآن وصححها إطلاقه على حاكم مصر «الملك» مع إنَّهم كانوا عرفوا بالفراعنة فيما بعد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾ وذلك؛ لأنَّ لقب فرعون جاء بعد يوسف عليه السلام[2].

إنَّ ورود أخبار الأمم الماضية بهذا الشكل المفصل الدقيق في القرآن لدليل على إنَّه وحي من الله تعالى وليس من عند البشر، لأنَّ من ترعرع في بيئة مثل البيئة التي نشأ فيها محمد ﷺ لا يمكنه أن يطّلع على مثل هذه الأمور التي لا سبيل للحصول عليها إلا بالتلقي، ولم يكن في تلك البيئة من يعرف هذه الأنباء على هذا الوجه الدقيق. وعندما سألت قريش اليهود أن يدلوهم على أمور يتحققون بها صدق محمد ﷺ، فلما أجابهم القرآن ووافق ما عندهم من أنباء، وصحح ما التبس عليهم أمره واختلط عليهم، علموا أنَّ هذا لم يكن لبشر أن يدركه بالإطلاع والتتبع والاستقراء مهما أوتي من علم، وحكمة، ودراسة لسير الأولين، فما بالك إذا كان الذي جاء به أمياً ونشأ في بيئة أمية[3] كما أخبر عنه ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[4].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٧٦.

(٢) ينظر: العقل والعلم في القرآن الكريم، وينظر: المباحث الغيبية: ١٨، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) ينظر: المدخل الوجيز الى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز: ١٣٥، وأنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٨.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

والمتأمل في قصص القرآن الكريم، والمتدبّر لآياته يدرك أنَّ ما جاء به القرآن مجملاً تارة ومفصلاً تارة لا يمكن أن يكون إلا من خبر السماء، فكان حرياً أن يعدّ وجهاً من وجوه الإعجاز. على إنَّ ما جاء به القرآن، كان أعظم الأدلة على صدق الوحي، وصدق النبي الكريم؛ لأنَّه لم يكن فيه ما يشين هذه الصفوة المختارة مما لا يليق بمكانتهم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

❑ أهداف غيب الماضي:

هناك أهداف تبعية لغيب الماضي مثل:

١- تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وإدخال الطمأنينة إلى قلبه، لذلك فإنَّ منهجه هو منهج الأنبياء والرسل السابقين، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

٢- تنمية المشاعر النبيلة والاستمتاع الوجداني والترويح من خلال هذا الزاد الثقافي كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾[3].

٣- إبراز وجه من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فالقصة الواحدة قد تتكرر أكثر من مرة، وتمس في كل مرة بقضايا وأمور جديدة مع الحفاظ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٨.

على أصل القصة، ومن غير تناقض في وقائعها، ويؤدي كله بأسلوب معجز، وهذا ليس في قدرة البشر.

٤- تربية الأمة وتهذيبها من خلال العظات والعبر التي ترد في قصص السابقين كالإخلاص في قصة إبراهيم عليه السلام، والبر والوفاء في قصة إسماعيل عليه السلام، والصبر والتحمل في قصة أيوب عليه السلام[١].

المطلب الثاني: غيب الحاضر

يقصد به: كل ما جرى في عصر الرسول الكريم ﷺ من حوادث لم يحضرها، ثم نزل القرآن متضمناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى. وفي تنبيه القرآن الرسول ومعه المؤمنون على الحقيقة وتوجيههم إلى ما ينبغي اتخاذه حيال الوقائع لضمان سلامة سير الدعوة. إذن الغاية الأساسية من غيب الحاضر هو تأييد الدعوة والأخذ بيدها والسير بها على بينة من أمرها، وتربية الأمة وتهذيبها. وهذا النوع فيه دلالة على صدق الرسول الكريم فيما يبلغ عن ربه، حيث لم يكن له علم بما دار في غيابه، وما خطط، وما جرى تنفيذه، حتى أماط القرآن اللثام عن هذه الأمور.

ومن أمثلة هذا النوع من الغيب ما جاء في شأن اليهود: وقد أخبر القرآن عن أساليب اليهود الملتوية في إدخال الوسواس والأحزان في قلوب المسلمين، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢] وذلك أنَّ

(١) ينظر: تأملات في وجوه إعجاز القرآن: ١١، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٦٤.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٨.

اليهود كانوا إذا مرّ بهم رجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أنَّ رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروا عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم[2].

وما ورد في شأن المنافقين والأساليب التي كانوا يلجئون إليها فمن هذه الأساليب هي حرب الأعصاب فمثلاً في غزوة أُحد قام رأس النفاق (عبد الله بن أُبي ابن سلول) فكان هو وأتباعه يحاولون النيل من الإسلام ثغر الجيش وسحب أنصاره منه، وهم زهاء الثلاثمائة وهم يريدون بذلك إيقاع البلبلة في قلوب المسلمين، ولما هزم المسلمون في المعركة أبدوا شماتة الجبناء فبيّن الله تعالى خستهم القائمة على الخبث في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٢) صحيح البخاري: ٥١/٦.

مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[1].

ويظهر أيضاً موقفهم المتخاذل في غزوة تبوك بعد أن يحاولوا تثبيط المسلمين عن الخروج للجهاد، وجهّز رأسهم جيشاً من المنافقين واليهود ينافس به جيش المسلمين، حتى كان يقال: عسكر (ابن أُبيّ) بأقل العسكرين، ثم أعلن حرب الأعصاب حين قرّر الانسحاب وهو يقول: يغزو محمد بني الأصفر -مع جهد الحال والحر والبلد البعيد- بحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب، والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الحبال[2].

ويظهر نفاقهم ونذالتهم وكيدهم للمسلمين في قضية الإفك التي ابتدعوها واتهامهم لأم المؤمنين سيدتنا عائشة -رضي الله عنها- وكان هدفهم وغايتهم أن يعكرّوا صَفو انتصار الرسول الكريم وأصحابه المسلمين في غزوة بني المصطلق على بني جذيمة أولاً، وإساءة العلاقة الحميمة بين الرسول الكريم وبين أم المؤمنين عائشة، وبينه وبين صديقه أبي بكر[3].

بالإضافة إلى ذلك كان هدفهم زعزعة ثقة المسلمين ببعضهم وبرسولهم، لكن الله ﷻ، جعل التباطؤ في قضية الإفك كشف دخيلة أنفس المنافقين، وعلّم المسلمين درساً بليغاً في التربية وضبط النفس وعدم الانحراف مع الإشاعات المغرضة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٦-١٦٧.

(٢) ينظر: الروايات في سيرة ابن هشام: ٤/١٧٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ١٧، وأنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٢٣، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٧٠-٢٧١-٢٧٢.

﴿ ١١ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢
لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
١٣ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ١٤ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا
وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ١٥ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ
هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

المطلب الثالث: غيب المستقبل وهو إخبار القرآن بامور من غيب المستقبل

ويقصد به: ما ذكره القرآن الكريم من حوادث ستقع ولم تكن قد وقعت عند نزول الآيات التي تحدّثت عن وقوع الحادثة. ولهذا جاء في القرآن كثير من الآيات تنبئ عن أمور لم تكن قد وقعت، ولقد وقعت كما أخبر القرآن عنها لم يتخلف منها خبر فنجد منها: ما تحدّث القرآن عنه ووقع في حياة الرسول الكريم: حيث تحدّث عن مصير بعض المكذبين؛ وأنّهم سيموتون على الكفر ويخلدون في النار، كقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[3].

---

(١) سورة النور، الآيات: ١١-١٧، وينظر: من إعجاز القرآن الغيبي صفات اليهود في القرآن الكريم: ١٧.

(٢) سورة المسد، الآيات: ١-٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢.

ولقد أخبر القرآن الكريم عن نصر نبيه ﷺ، ونصر المؤمنين، وتمكين دينهم لهم، واستخلافهم في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1].

وأيضاً فيها إخبار على ما وعد الله المسلمين مغانم كثيرة من أعدائهم فقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[2]. ومنها ما طمأن الله تعالى رسوله من إنَّه سيعصمه من الناس، ويمنعه من كل من أراد قتله، فلقد بذل اليهود والمنافقون ما يستطيعون لإيذاء الرسول فنزل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[3]. وقد وعد الله نبيه الكريم ﷺ من دخول مكة، ودخول المسجد الحرام، فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[4].

وقد تحدّث القرآن الكريم عن اليهود وكيف ضربت عليهم الذلّة والمسكنة أينما ثقفوا وأينما وجدوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وقال

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١٨-٢١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

ﷻ ما أخبر به عن يهود من تسلّط الأمم النصرانية عليهم، فقال: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1].

والمتدبر للآية الكريمة يجد إنَّه قد ذكر فيها (الذين كفروا) مرتين، الأولى قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ والثانية ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾، فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في المرة الأولى هم اليهود، فهم الذين نصبوا العداء للرسول فنجاه الله تعالى، وأما ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، في الآية الثانية فهم اليهود أيضاً. فالآية الكريمة تبيّن لنا أن تسلّط الأمم النصرانية على اليهود أمر مستمر، فما لاقاه اليهود من الأمم النصرانية على مدى التاريخ من الشدة والقسوة والاحتقار لا يجهله أحد، ولا ينكره اليهود أنفسهم[2] وقوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾: قال عمر بن الخطاب ﷺ: كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ فأقول: أي جمع هذا وأية هزيمة إلى أن كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثبت في الدرع ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾، فعرفت تأويلها يومئذٍ[3] وعند نزول الآية الكريمة ما كان أحد يتوقع أن تكون للمسلمين شوكة وجيش يواجهون به جموع المشركين. فكان أن تحققت النبوءة بعد سنوات عديدة في السنة الثانية من الهجرة النبوية[4]. وما

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٢) ينظر: المباحث الغيبية: ٢٩، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩.

(٣) الدر المنثور: ٦٨١/٧.

(٤) ينظر: مباحث في إعجاز: ٢٧٩.

تحدى الله تعالى به اليهود من تمني الموت إن كانوا أولياء الله، وإن كانت الدار الآخرة خالصة لهم، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] وكان ما أخبر عنه القرآن الكريم.

ونجد أيضاً ما أخبر الله به عن فارس والروم في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[2] ولقد تحقق الخبر القرآني، وفي هذه التي أخبر عنها القرآن الكريم[3]. وقد هدد الله تعالى المنافقين، والذين في قلوبهم مرض من أنهم إن لم ينتهوا عما هم فيه، فإنهم سيلقون سوء صنيعهم وذلك في قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

وما أخبر الله به في القرآن من كشوف في آفاق هذا الكون، وآفاق النفوس البشرية، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[5] وأخبر سبحانه عن مكنونات في هذا الكون، ذكرت إشارات إليها ونبهت عليها

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٦-٧.

(٢) سورة الروم، الآيات: ١-٣.

(٣) ينظر: أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٢١، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٤١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

بعض آيات القرآن[1] في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾[2].

❑ ثانياً: ما تحدث عنه القرآن الكريم ووقع بعد وفاة رسول الله ﷺ:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3] تحقق ذلك في عهد الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ فدحروا دولة الفرس والروم ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى أطراف الصين شرقاً وإلى المحيط الأطلسي غرباً، وخضعت الشعوب والأمم للإسلام ودخلوا في الإسلام، وكان الناس في أمن وأمان. وكان كل ذلك في العهود اللاحقة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومما تحدث عنه القرآن بعد وفاة الرسول يتضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4] حيث نجد إنَّ كتاب الله الذي تكفّل الله بحفظه لم تنقطع سلسلة حفاظه الذين يتلقونه جيلاً عن جيل من الصدور. ونجد الأمة بعد كل كبوة تستعيد فتوتها، وتجدد نشاطها، لتقوم بدورها الحضاري مرة أخرى وما ذاك إلا بفضل كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتحقيقاً لوعد الله الذي تكفّل بحفظ كتابه[5] حيث

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن الغيبي: ٤١، وينظر: الإعجاز الغيبي: ١٤٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٥) ينظر: إعجاز القرآن التحدي والعجز والإعجاز: ١٨٥، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٨٠-٢٨١.

قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

المطلب الأول: ما تحدّث عنه القرآن الكريم ولم يقع إلى الآن، وسيقع حتماً من غير ريب

فمن جملة ما ذكره القرآن من الآيات الكريمات التي تتحدث عن أشراط الساعة والأحداث التي تقع قبيل قيامها قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[1].

ذهب كثير من المفسرين إلى إنَّ العلو في الأرض والإفساد الأول قد تم فأرسل الله عليهم بختنصر ملك بابل فشرّدهم وقتل الكثير منهم وساق الكثير أسرى إلى بابل. أما العلو الآخر والإفساد الآخر فلم يأتِ بعد، حيث لم تقم لليهود بعد أسر بابل دولة ولا كيان.

ونجد إن هنالك آيات كثيرة تتحدث عن اختلال النظام الكوني عند قيام الساعة كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾[3].

إنَّ هذه الأحداث الجسام التي تضع نهاية للنظام الكوني واقعة لا محالة، وهذا المعتقد جزء من ديننا وعقيدتنا لا يكون المؤمن صحيح الإيمان إلا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٢) سورة القيامة، الآيات: ٧-١٠.

(٣) سورة التكوير، الآيات: ١-٦.

باعتقاده. إنَّ الهدف الأساسي في إيراد هذا الغيب، هو الغرض التربوي لترسيخ الإيمان في القلب، وحسن التوكل على الله الخالق المتعال، الذي بيده كل شيء، والهدف التبعي لمثل هذا النوع من الغيب هو تصديق رسول الله ﷺ وأنَّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[1].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: الاخبار عن الغيب: ٣٣، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٨٦.